

نشر هذا المقال في جريدة القدس العربي التي تصدر في لندن

قراءة جديدة في ألف ليلة وليلة لمحمد عبد الرحمن يونس

قراءة جديدة في ألف ليلة وليلة لمحمد عبد الرحمن يونس .بيروت -
القدس العربي :

بدأ الباحث الدكتور محمد عبد الرحمن يونس كتابه بمدخل تحدّث فيه عن فعل السلطة عبر التاريخ، ودورها في استعباد الناس وإذلالهم، وتشويه العلاقات الاجتماعية والإنسانية في ما بينهم، حتي تتمكن من قيادتهم، وأثبتت بعض تعريفات السلطة من خلال المراجع، وذكر بعض الشروط التي يجب أن تتوافر في الحاكم أو الخليفة، حتي يعيش رعاياه في أمان من بطشه، تأسيساً علي آراء الفلاسفة والفقهاء الإسلاميين، ثم حاول أن يدرس بعض ملامح سلطة الحكّام المهمّين في ألف ليلة وليلة ، كما أبرزتها.ونظراً لأنّ حكام مدن الليالي كثيرون جداً، فقد اكتفي بإبراز أهمّ الملامح السلطويّة لبعض الخلفاء، والحكام، وركّز علي الحكّام المعروفين تاريخياً، ومن هؤلاء الحكّام: الخليفة العباسي هارون الرشيد، وابنه الخليفة عبد الله المأمون، والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، والحجاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة عبد الملك بن مروان علي العراق. وعرّج علي بعض الملامح الاستبداديّة لملك غير معروف تاريخياً وهو الملك عمر النعمان.ويأتي تركيزه علي هؤلاء الحكام، لأنّهم أهمّ الحكّام الذين يأخذون مساحات واسعة من السرد الحكائيّ، إذ تحتفي حكايات ألف ليلة وليلة بهم احتفاءً واضحاً يفوق احتفاءها بغيرهم من الحكام، ولأنّ الحديث عنهم في الليالي كان متعدّداً ومتشعباً فقد ساعد هذا التعدد علي أن يدرس الباحث ملامحهم المتعددة والواضحة في الحكايات التي ذكرتهم، فالخليفة هرون الرشيد يكاد يكون محوراً رئيسياً تدور حوله كثير من حكايات

ألف ليلة وليلة ، وهو حاكم متعدّد المواهب والملاح، ويجمع كثيراً من التناقضات في آن، ويبدو حضوره قوياً طاغياً عل كل من حوله. بينما تبدو شخصية ابنه الخليفة عبد الله المأمون شخصية رئيسية نامية، متعددة الملاح والوجوه، فهي شخصية حكيمة وعاقلة وخبيرة بفنّ السياسة، ومتسامحة وقادرة علي أن تعفو عن المعارضين السياسيين لحكمها، وفي مواضع أخرى تبدو شخصية عابثة لاهية عاشقة للفنّ والموسيقى، ومرة أخرى تبدو قوية وحازمة تفرض هيبتها علي جميع من حولها، وبالتالي فإنّ هذه الشخصيّة تجمع ملاح مشتركة لعدة حكّام من حكّام الليالي. أمّا الخليفة عمر بن عبد العزيز فإنّه يُمثّل نموذج الحاكم الأكثر عدلاً من بين حكّام الليالي، فصورته العادلة تُمثّل في النهاية آمال الطبقات الفقيرة المسحوقة، وتطلّعاتها صوب الحقّ والخير والعدل. أمّا شخصيّة الملك عمر النعمان والحجاج بن يوسف الثقفي، فإنّهما تمثّلان أهمّ الرموز الاستبداديّة السلطوية في حكايات ألف ليلة وليلة ، الرموز التي تطمح الطبقات الشعبيّة إلي الانتقام منها، وإسقاط نظام حكمها، والسخرية بها، ومن هنا فإنّ دراسة ملاح هاتين الشخصيتين يمكن أن تشكّل محاور بديلة من دراسة ملاح كثير من حكّام الليالي، الذين يلتقون معهما في ملاح الظلم والاستبداد والجبروت والاعتداء علي حريّات مواطنيهم. إنّ دراسة ملاح هؤلاء الحكّام يمكن أن تقدّم صورة واضحة عن جميع خلفاء مدن ألف ليلة وليلة وحكّامها ، سواء كانوا واقعيين أم من نسيج الخيال، وبالتالي كان التركيز عليهم من دون غيرهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد اكتفي بدراسة ملاحهم منعاً للتكرار والإطالة، لأنّ دراسة ملاح الحكّام الآخرين لن تضيف جديداً إلي هذا الكتاب، كما يقول. وحاول إبراز الوجه الاستبدادي لبعض نساء السلطة في ألف ليلة وليلة ، ومن هؤلاء النساء: السيّدّة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد، وجارية مستبّدة من جواربها، وملكة أسطوريّة من ملكات ألف ليلة وليلة ، وهي الملكة منار السنا، وأميرة أخرى غير معروفة تاريخياً، وهي الأميرة

دنيا بنت الملك شهرمان. وهذه النساء يمكن أن تكون أهم الرموز الاستبدادية من بين نساء ألف ليلة وليلة جميعها، ولذا فقد اكتفي بدراسة ملامحهن من دون غيرهن من النساء السلطويات الأخريات. وعرّج علي أهم ملامح بعض النساء السلطويات الفاسدات الزواني، وبعض ملامح الإيديولوجيا الرجولية المعادية لهنّ. ولم يدرس ملامح المرأة السلطوية العادلة الورعة، الأم والأخت، والزوجة الوفيّة المستقيمة في أخلاقها وسلوكها، لأنّ حكايات ألف ليلة وليلة تكاد تخلو من هذا النموذج. وحاول أن يبين إلي أيّ مدى تمارس النساء الجميلات من سلطة قويّة علي رجال السلطة، ثمّ أنهى الفصل بدراسة تحت عنوان: سلطة الحكاية وسلطة القتل في ألف ليلة وليلة، درس فيها مدى تأثير سلطة الحكاية العجائبيّة علي رجال السلطة، ودورها في إنقاذ الشخوص الرّواة من بطش رجال السلطة المروي لهم. أما محتويات كتاب الاستبداد السطوي والفساد الجنسي في ألف ليلة وليلة فتكون من الموضوعات التالية: مدخل.1- في بعض ملامح سلطة الحكام الرجال في ألف ليلة وليلة. أ- بعض ملامح شخصيّة الخليفة هارون الرشيد. ب- ملامح شخصيّة الخليفة عبد الله المأمون. ج- ملامح شخصيّة الخليفة عمر بن عبد العزيز. د- ملامح بعض الشخصيات السلطوية الأخرى في ألف ليلة وليلة. 2- استبداد نساء ألف ليلة وليلة - نماذج ثريّة وسلطوية. أ- في بعض ملامح السيّدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد. ب- ملامح إحدي جواري السيّدة زبيدة. ج- بعض ملامح استبداد إحدي الملكات الأسطوريّات في الليالي.3- ملامح بعض النساء السلطويات الزواني وبعض ملامح الإيديولوجيا الرجولية المعادية لهنّ في ألف ليلة وليلة. 4- سلطة الحكاية وسلطة القتل في ألف ليلة وليلة.